أول كنيس يهودي في دبي.. ماذا وراء غطاء التسامح الديني؟

في أحد أيام السبت من الشهر الماضي كانت مجموعة من المصلين اليهود في الانتظار، يتحادثون بشكل ودي لقضاء الوقت، كانوا قد قرأوا صلوات الصلاة الصباحية، لكن الرجل العاشر لم يصل بعد، ولم يكن من الممكن أن تستمر الصلوات دون اكتمال النصاب اللازم، فانتظار الرجل العاشر من أجل الصلاة في اليهودية يعتبر إزعاجًا قديمًا ومألوفًا تمامًا مثل الصلاة اليهودية نفسها، لكن الموقع كان استثنائيًا.

كان ذلك الخبر الذي نشرته صحف ووسائل إعلام إسرائيلية، عن كنيس يهودي يحتضنه حي سكني في إمارة دبي إحدى مدن الإمارات العربية المتحدة، وهي خطوة تترافق مع لقاءات وزيارات لرجال دين يهود مقربين من "إسرائيل"، وخطاب عام نحو التسامح الديني، تتبناه دول "سنية معتدلة"، وتعززه ندوات وإطلالات في وسائل إعلام عربية لمفتين وسياسيين.

اليهود قرروا قبل ثلاث سنوات استئجار فيلا في دبي لغرض إقامة الكنيس

أول كنيس يهودي بمباركة السلطات

لعدة قرون، قام اليهود بأعمال تجارية واختلطوا اجتماعيًا – وإن كان بحذر – مع جيران عرب من بغداد إلى بيروت، لكن معظمهم طُردوا أو هاجروا عندما تأسست "إسرائيل" عام 1948، واليوم، مع نمو اقتصاد المنطقة ونعومة المواقف العربية تجاه "إسرائيل" أسست الطائفة اليهودية في دبي أول كنيس يهودي في المدينة.

عقب سنوات من الاجتماع السري في بيوت خاصة، قرر يهود دبي منذ ثلاثة أعوام استئجار فيلا في حي سكني هادئ للخدمات لتحويله إلى كنيس

ليس هذا وليد اللحظة، فعقب سنوات من الاجتماع السري في بيوت خاصة، قرر يهود دبي منذ ثلاثة أعوام استئجار فيلا في حي سكني هادئ للخدمات لتحويله إلى كنيس، ويحتوي المبنى غير المميز على ملاذ للصلاة ومطبخ وعدد قليل من غرف النوم للزوار أو أعضاء المجتمع الذين لا يعملون يوم السبت.

وبحسب القناة الإسرائيلية الثانية، عمل رجال الأعمال اليهود في دبي على بناء الكنيس اليهودي السري في إمارة دبي بموافقة من السلطات الإماراتية، التي أشرفت عليه على مدار ثلاث سنوات مضت، رغم أن الدولة الخليجية لا تقيم مع "إسرائيل" علاقات دبلوماسية رسمية.

وفي أيام السبت والأعياد اليهودية يتجمع المصلون – عادةً بضع عشرات من الأعضاء بالإضافة إلى الزوار من العاملين بالشركات وطلاب الجامعات – في الفيلا التي تسمح نوافذها برؤية مئذنة مسجد يقربها، وعلى الرغم من أن الطائفة اليهودية ليس لديها حاخام، فإن العديد منهم يزورونها من وقت لآخر.

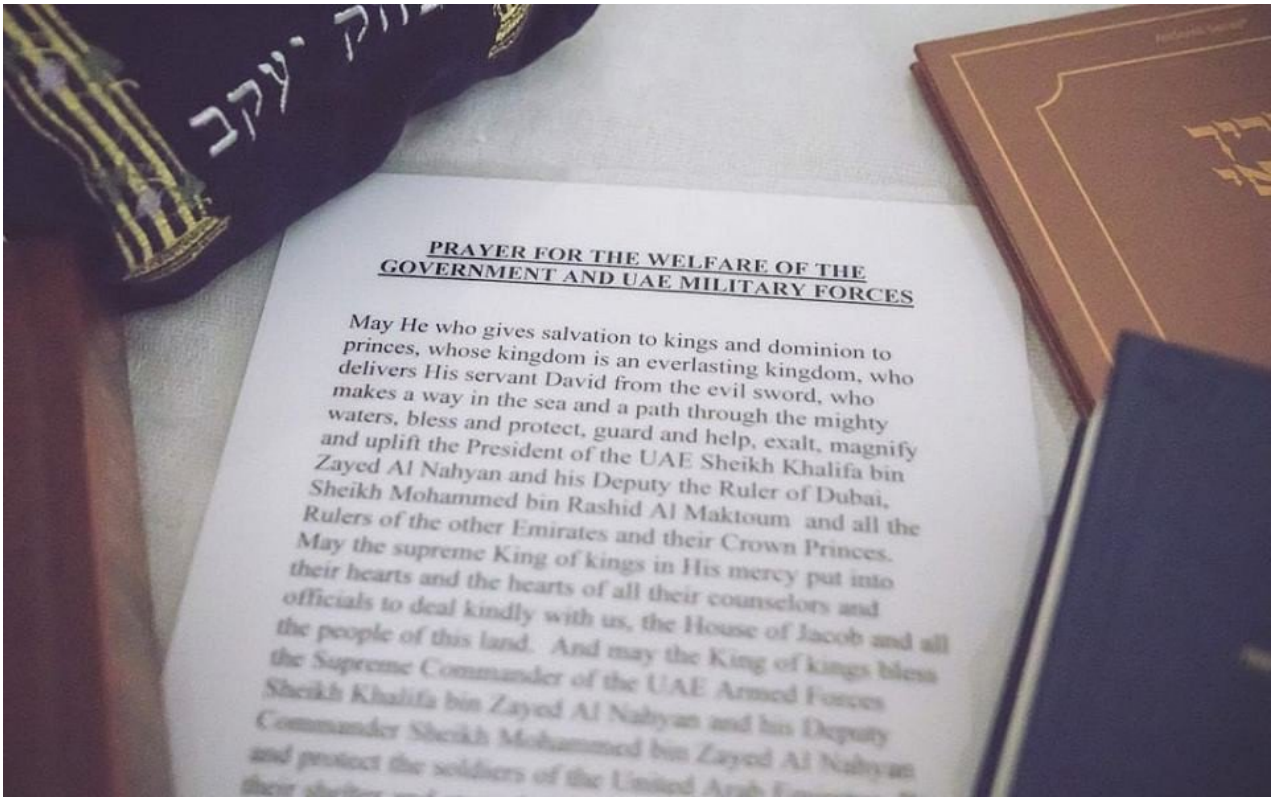

صلاة لحكومة دولة الإمارات من الكنيساليهودي

وعند الترنيم بالجزء الأسبوعي من التوراة، ينشد زعيم الصلاة البركة اليهودية التقليدية، المصممة خصيصًا للظروف المحلية قائلاً: "يبارك الرب ويحمي ويساعد رئيس دولة الإمارات الشيخ خليفة بن زايد ونائبه حاكم دبي الشيخ محمد بن راشد وجميع حكام الإمارات الأخرى وأولياء العهود".

هذا الدعاء، الذي يختتم بمباركة القوات العسكرية لدولة الإمارات العربية المتحدة، تتلوه تقاليد محلية في الصلاة مثل العديد من مجتمعات الشتات اليهودي، لكن اللهجة التفضيلية واضحة بأنها تتبع هيكل السلطة المركزي في دبي، حيث يملك حكام الإمارات سيطرة تامة على رفاهية المجتمع اليهودي.

ويسلط موقع "تايمز أوف إسرائيل" الضوء على أحد قادة المجتمع في دبي، ويدعى روس كريل، وهو يهودي أرثوذكسي من جنوب إفريقيا، انتقل إلى دبي مع زوجته وأطفاله للعمل كمحام في شركة للطاقة قبل 6 سنوات، ويمشي كريل على خط رفيع بين الاهتمام الأساسي بضمان الأمن، بينما يعمل أيضًا على رؤية حياة يهودية مستدامة ومزدهرة في دبي.

الهرولة نحو التطبيع

يعتبر "كنيس دبي" ملاذًا يرحب باليهود في المدينة الرأسمالية التجارية في الشرق الأوسط، سواء كانوا من المقيمين القدماء أم الزائرين المؤقتين أم القليل من الزوار المحظوظين بما يكفي لمعرفة وجود الكنيس، تأسّس منذ 10 سنوات، وهو المؤسسة الرائدة والوحيدة الفعالة التابعة للجالية اليهودية في الإمارات.

في ذات السياق، سلط تقرير لموقع "بلومبرغ بيزنس" الأمريكي، الضوء على النمو المفاجئ لجالية يهودية تعدادها 150 شخص – وهم المغتربون في مجالات مثل التمويل والقانون والطاقة والماس – تقيم صلوات بصورة متواصلة أيام السبت والأعياد، وتقيم ذلك في مكان سري.

ملاذ كنيس دبي – المصدر: تايمز أوف إسرائيل

"لقد قطعنا شوطًا طويلاً منذ أن بدأت لأول مرة بالذهاب إلى دبي قبل 30 عامًا"، يقول إيلي إيبستين، أحد سكان نيويورك الذي ساعد في تأسيس الكنيس وتبرع بتوراة، في حديثه للإذاعة العبرية العامة، مضيفًا: "في ذلك الوقت، أخبرني الناس أنني يجب أن أتجنب استخدام اسمي الأخير لأنه يبدو يهوديًا للغاية".

وبحسب صحيفة "تايمز أوف إسرائيل"، فإن إنشاء الكنيس تم بعد جهود كبيرة استمرت لأكثر من 20 عامًا، حيث يحظى بتشجيع من مجموعات يهودية مثل مركز "سيمون فيزنتال"، بالإضافة إلى حكومة دبي ومحمد العبار، رئيس مجلس إدارة شركة إعمار العقارية، الذي بنى برج خليفة المكون من 163 طابقًا، وعندما تبرع إيبستين بكتب التوراة منذ ثلاث سنوات، أهدى واحدًا بغطاء مخملي مع نقش عربي مطرز بالذهب للعبار، الذي يعرفه منذ أن أدار مشروعًا للألمونيوم في التسعينيات.

يعكس ظهور الكنيس العلاقات الدافئة بين "إسرائيل" والدول الرئيسية في منطقة الخليج، حيث ينظر قادة السعودية والإمارات العربية المتحدة إلى إيران على أنها تهديد أكبر من الدولة اليهودية

ويعكس ظهور الكنيس العلاقات الدافئة بين "إسرائيل" والدول الرئيسية في منطقة الخليج، حيث ينظر قادة السعودية والإمارات العربية المتحدة إلى إيران على أنها تهديد أكبر من الدولة اليهودية، ودفعها ذلك إلى تحالف غير معلن مع "إسرائيل" وكسر المحرمات التي طال أمدها في التعامل معها مباشرة.

ومع سعي دونالد ترامب للتوصل إلى اتفاق سلام في الشرق الأوسط، تدفع الحكومات العربية للضغط على الفلسطينيين للقبول بتسويات السلام التي تقترحها الولايات المتحدة، ففي أكتوبر/تشرين الأول، ظهر رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو على حين غرة في سلطنة عُمان، وزار وزيران آخران من الحكومة الإسرائيلية أبو ظبي، وبعد أيام قليلة، دافع نتنياهو علنًا عن ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان عندما أحاطت به الاتهامات من رؤساء أجانب آخرين بعد مقتل جمال خاشقجي في تركيا.

A first: Dubai's tiny expat Jewish community with official backing https://t.co/Fmxs1wyiRm pic.twitter.com/ZHO5UEefCU

— Mark Lavie (@freelavie) December 5, 2018

وفي وقت سابق، أكد المبعوث الأمريكي الخاص لمنطقة الشرق الأوسط جيسون غرينبلات، أن "هناك جهات رسمية في الدول العربية لم تعد تخشى الوقوف إلى جانب الجهات الإسرائيلية"، مضيفًا: "اتضح لي من حديثي مع زعماء عرب، أن هناك تقدمًا مهمًا طرأ على التعاون بين "إسرائيل" ودول المنطقة".

وهي وجهة النظر نفسها التي عكستها صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية مؤخرًا عندما أكدت أن "حلم نتنياهو بشرق أوسط دون فلسطين بات ممكنًا"، في إشارة لانصراف الساسة والدبلوماسيين العرب عن التركيز على القضية الفلسطينية في المحافل الدولية الأخيرة.

وزير التسامح الشيخ نهيان بن مبارك

بروباغندا التسامح الديني

لم يعد عصيًا فهم الميل الرائج نحو توظيف دعاية التسامح الديني، بين اليهود والمسلمين، باعتباره جزءًا من حراك تطبيع واسع تقوده دول عربية، لنقل العلاقات مع "إسرائيل" إلى مستوى جديد كليًا، غير أن ثمة مفارقة تقع في قلب هذه الدعاية، وفي هوية الداعين إلى هذا "التسامح الديني" الإسلامي اليهودي.

فالإمارات، على وجه الخصوص، سعت إلى الظهور بصورة أكثر تسامحًا تجاه الأديان الأخرى، لخلق مناخ

أكثر جذبًا للمستثمرين، حيث عيّنت وزيرًا للتسامح، كما استضافت مؤتمرًا عالميًا عن التسامح في نوفمبر الماضي، حضره أكثر من 1200 شخص من مختلف المعتقدات.

وقال وزير التسامح الشيخ نهيان بن مبارك للوفود، وهم يتناولون سلطة الجمبري والضأن في ساحة خارجية وسط ناطحات السحاب في دبي: "إنني أدعوكم للعمل معًا للقضاء على سوء التفاهم بشأن الأديان والثقافات المختلفة، يجب أن تصبح التعددية قوة إيجابية وإبداعية من أجل التنمية والاستقرار".

لا يزال الكثيرون مؤيدين للجانب الفلسطيني ويعتبرون العلاقات الجيدة مع "إسرائيل" خيانة، وهو ما يفسر مسألة إخفاء أمر الكنيس على مدار السنوات الماضية

في الواقع، فإن دبي، التابعة لدولة الإمارات العربية المتحدة حيث يعتبر 11% فقط من سكانها البالغ عددهم 3 ملايين نسمة مواطنون، راهنت على مستقبلها باعتبار نفسها معقلاً للتسامح، ومع عدد سكانها المكون من 200 جنسية، يتم الاحتفال بالتنوع بشكل رسمي.

لكن الرأي العام في الإمارات ربما يختلف قليلاً عن قادته، إذ لا يزال الكثيرون مؤيدين للجانب الفلسطيني ويعتبرون العلاقات الجيدة مع "إسرائيل" خيانة، وهو ما يفسر مسألة إخفاء أمر الكنيس على مدار السنوات الماضية، لكن التسامح الإماراتي دفع الآخرين إلى استنتاج أنه من الآمن رفع الحجاب تدريجيًا.

وتأتي الخطوة الإماراتية، التي تعكس تقاربًا ثقافيًا مع اليهود بالتزامن مع إعلان المتحدث باسم الفاتيكان أن البابا سيزور أبو ظبي من 3 إلى 5 من فبراير القادم؛ للمشاركة في حوار عالمي بين الأديان تستضيفه الإمارات شعاره: "الأخوة الإنسانية"، وهي حظوة قد تمثل خدعة إماراتية جديدة تستهدف من خلالها محاربة التيارات الإسلامية المعادية لها وسط تلك الأقليات، وتحقيق نفوذ إماراتي تعمل من خلاله على تنفيذ مآربها الخفية.

رابط المقال: https://www.noonpost.com/25798/